

الكعبة.. مظهر التوحيد



التوحيد كلمة كبرى لها مدلول عظيم يلخص هدف كل النبوات، لأن الخطر الذي يواجه المسيرة البشرية هو تعلق الآلهة المزيفة في طريقها فتصدرها عن التوجه نحو كمالها المنشود.

لابد للإنسان والمجموعة البشرية من "مثل أعلى" والمثل الأعلى هو الذي يستقطب طموح الإنسان وهدفه في الحياة، وهو في التعبير القرآني: "إله". والمثل العليا حسب تفسيم السيد محمد باقر الصدر: مثل أعلى هابط، ومثل أعلى متوسط، ومثل أعلى مطلق. والمثل الأعلى المطلق هو الله سبحانه، وكل مثل أعلى غير الله تعالى إنما هو سرابي، لا يروي الإنسان طماما إلى الكمال: (وَالْأَذْنِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئا...) (النور/39) ز

دعوة الأنبياء إلى عبادة الله الواحد الأحد، إنما هي دعوة لإزالة كل الآلهية السرابية المزيفة من طريق الإنسان ليطوي مسيرته التكاملية دون أن يجد له حد، نحو الإله المطلق الحق.

التوحيد حركة وتكامل وبناء حضاري، وإبعاد المسيرة الإنسانية عن الأوهام والنكوص والتراجع. والتوجه إلى الكعبة يبدأ بالتلبية لنداء الله سبحانه: "لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ لَبِيكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبِيكَ" .. إنها استجابة لدعوة إبراهيم وأذاته التوحيدية: (وَأَذْنَنْ فِي الدَّارِسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِنٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمَيقٍ * لَيَشْهَدُوا مَذَاجِعَ لَهُمْ...) (الحج/27-28).

ليشهدوا منافع لهم.. مطلق المنافع.. وهذا الإطلاق يتحقق في ظل التوحيد.. في ظل حركة حضارية مستمرة نحو المثل الأعلى المطلق سبحانه.

هذا المفهوم العظيم للتوحيد غائب في سياق غياب الحركة الحضارية للأمة، وفي سياق لمفاهيم السطحية الساذجة للتوحيد، سواء تلك التي يحملها الجاهلون أو التي يحملها المتعالمون، والتي يحملها المتعالمون أخطر، لأنّ الجهل يمكن أن يُدفع بالعلم.

وكثير من المواقع على شبكة الإنترنت تعمل اليوم جاهدة لتحريف مفهوم التوحيد، وحصر هذا المفهوم الحضاري الإلهي العظيم في إطار ضيق مؤلم مضحك: "وشرّ البلية ما يضحك".

ف "الكعبة الشريفة.. مظهر التوحيد والقيم الروحية" فإنه ينطلق من فهم عميق لمعنى التوحيد، ولمعنى القيم الروحية التي تحتاجها البشرية اليوم أيّما احتياج في عالمنا الصالب بالقيم المادية الطاغية التي تنذر البشرية بمزيد من الحرروب وبمزيد من الوليات.